

# الشعر الحديث بعد ربيع قرن

## بقلم الدكتور جهاد الخطاط

الابداع فيه ، دون ان يتحول الى نوع من الفوضى والارباك ؟

والرأي القائل بأن الطرق الحديثة في النظم تحاول ان تلمس معالم الشعر العربي العمودي ، الى أي مدى يصح لدينا ؟ وهل تأثرت منزلة النابغة وابي نواس والتنبلي وابي العلاء وغيرهم ممن الشعراء القدامى ، بعد ألف سنة وأكثر ، بظهور شاعر كالسياب او كعبد الوهاب البياتي ؟ ولم قامت هذه المناقشات والمعارك ؟!

يبدو لي ان الكثيرين يطيب لهم ان يحولوا القضايا الفكرية او الفنية الى مسائل شخصية صرف ! فمن يحب شعر ابي تمام يعتبر اطراء شعر البخاري اهانة شخصية له ! ومن يتنوق الشعر الحديث يحس بالاندحار اذا صفقت الاكف لايبات من الشعر القديم ، وهكذا ! او ان الفراغ الفكري والعاطفي واقتناص الموضوعات للكتابة ادى الى هذه المناقشات الحادة المتطرفة بين القديم والحديث ، وما اكثر الذين يفتعلون المواقف تمجلا للشهرة وتأكيدا للذات ، والغيرة الطفولية من نجاح يصيب هذا وذاك قائمة بوضوح ، وكل هذه الامور خارجة عن طبيعة الفن ومعيقة لتطور الشعر الذي يحاول الكتاب المخلصون ان يكون معاصرا في اهدافه وموضوعاته ، ومعبرا عن الانسان العربي بشمولية وعالية .

وبعد هذه السنين من المناقشات ثم يعد مكان للكلام عن الجديد والتقليد ، فالشعر الحديث ليس نورة على القديم ، ولكنه تشكيل جديد للعروض ، ودليل حيوي على قابلية الشعر العمودي للتجدد والتحول ، وموقف واسلوب وتعبير عن العصر وهموم الاجيال الجديدة وتطلعها الى حياة افضل . ومن الخطل ان نفرض على الشعراء ان يحيوا بأفكار اجسادهم ، فهذا تشويه للانثين ، وان يقتبسوا من اشعارهم المعاني والتشبيهات المعروفة ليرضى عنهم السدنة الحافظ على التخلف والاصياء المتحجرون الذين يشكلون اكبر عائق لتطور الشعر العربي ونمائه ، فلنكف - اذن - عن المهاترات التي قامت حول الشعر القديم والحديث ، ونحل مكانها النظرات النقدية البناءة ، فالزمنية ليست « تقييما » ادبيا ، والشعر الجيد والريء يتوافر في النماذج القديمة والحديثة وفي قديم الحديث وفي حديث الجديد وعند الشباب والكهول والعموديين والافقيين ، ولا داعي للخوف والفرع من ترتيب حديث للقوافي والتفصيلات ، وقصائد قديمة خالدة وتبقى ، وقد تحمل قصيدة حديثة معها بذور فنانها او تثبت ان

يرجع بعض الكتاب بداية التجديد في الشعر الى محاولات قديمة وعهود بعيدة : يذكرون أبا الصناهية الذي أحب ان يكون اكبر ممن العروض ، وأبا نواس الذي نظم ابياتا لا قافية لها ، وأبا تمام الذي دعم شعره بالنطق والعقل والاسطورة والحسنات البديعية ، ويتحدثون عن الموشحات الاندلسية وتنوعها للقوافي ، مروا بالسنين وعبر العصور المتعاقبة ، حتى البند في الفترة المظلمة ، ويبرهم شعمر المهاجر ، ويعددون اعمالا شعرية لباكثير ومحمد فريد وجدي وعبد الرحمن شكري والفقاد والمازني واحمد زكي ابي شادي ونزار قباني ... الخ ، ويمكن ان نجد شيئا من الواقع والحقيقة فسي هذه الآراء ، فهؤلاء الشعراء وآخرون اسهموا ، بنسب متفاوتة ، في ايجاد اساليب شعرية غير مألوفة ، ولكننا نتمتع سنة ١٩٤٧ بداية تاريخية للشعر الحديث ، فتشكيلات نازك والسياب الشعرية ببهتالي لون جديد من النظم تالت بعده قصائد مماثلة كثيرة من شعراء متعددين ، كتبت عنها مقالات وبحوث ومؤلفات ، وقامت حولها معارك ومناقشات مفتعلة في اكثرها ، ولم تهذا ، وهذا المقال مراجعة سريعة واعادة نظر في الشعر الحديث بعد ربيع قرن .

من المعروف ان الشعر الحديث يستمد أصوله من العروض القديم ، فهو ليس خارجا عليه ، ولكنه يلقي نظام الشطرين والقافية الواحدة ولا يلتزم بعدد معين من التفعيلات ، فلم تعد الابيات امثالا وحكما وأقوالا مختصرة تطوي في كلمات قليلة تجاريب يمكن عرضها في دواوين واعمال كاملة ، واقتربت القصيدة الحديثة من وحدة الموضوع التي دعا اليها ارسطو قديما ، ولم تنحصر بالافراض الشعرية التقليدية المبوية كالمدح والهجاء والغزل والرثاء .. الخ ، وهذه امور طبيعية فرضتها اهواء العصر ، لا تستاهل اكاداسا من المقالات والبحوث ، شرحا وتفصيلا ، ولا تستحق معارك وخصومات وتهريجا ومواقف ، وهي ليست من الخوارق والمعجزات !

فلماذا نعيق الشعراء ، اصحاب الطرق القديمة والحديثة ، عن حرية التعبير ، ما دامت مواهبهم وقدراتهم الثقافية تفرض عليهم اساليب النظم ، ونعود ونطالبهم بقوالب ثابتة لا يرتضونها ونسند الابواب امام محاولات التجديد والنماء والابتكار والخلق ، ونحس نمر يدور يتسم بالتطور السريع ونطمح الى مكان لائق تحت الشمس ، ومتى رضخ الفن لاهواء شخصية اعتباطية سائبة ، واللاقاعدة مبتغى

للسلوب الجديد ارضية وأصالة وانطلاقا نحو عالية ارحب ، ولم يكن وقت نظم قصيدة حكما على شاعريتها وبقائها ، والشعر المبدع لا يعرف زما مينا او اسلوبا خاصا ، قال بهذا نقاد قداماء ، ومنهم ابن قتيبة ، ولكننا ما زلنا نشغل انفسنا بالجدل العقيم ، والمناقشات غير الجدية ، فالحديث عن الشعر طفى على الشعر اكادسا ، والكلام على النقد ونقد النقد فاق ما عندنا من دراسات نقدية حقيقية ، وهكذا اعتدنا ان نناسى قضايانا الجادة باغراقنا في التعليق على هوامشها ، وانفعالنا بآرائنا حولها ، وانبهارنا واعجابنا بانفسنا ، واضعين كرامتنا على طاولة البحث ، حاملينها معنا صباح مساء ، محولين مسألة عامة الى شخصية خاصة بحساسية مفرطة تسيينا الموضوع الذي نبهته ، في حين ان الدراسة الموضوعية امر يجب ان يبعثنا عن أي كسب شخصي او فرض موقف عقيم .

يرى اصحاب القديم ان الشعر الحديث نوع من الهدر ، ويرى المحدثون ان الشعر القديم علامة تخلف ، وهذه الاحكام ليست نقدية ولا موضوعية ، وهي اقرب الى العصبية وسوء القصد والاخلاقية السائبة ، وعليه ندعو الطرفين - بعد ربع قرن - الى شيء من الخجل والى احلال الدراسات الجادة محل الهوس والانفعال ، وجعل حرية الآراء النقدية بمنأى عن الكرامات الشخصية البعيدة عن الموضوع .

ويرى قسم من المحدثين ان الشعر القديم يفقد وحدة الموضوع ، وبعض القصائد الحديثة لا موضوع لها ولا وحدة ، ويعيون اختصار التجارب الكاملة في ابيات مفردة ، وقصائد محدثة تضغط في كلمات وليس في أبيات تلك التجارب ! ويظن قسم من محبي القديم ان الشعر الحديث يفتقر الى الوزن والقافية ، وهم لا يعرفون اوليات علم العروض ، ويتسم بالفموض وهم لا يفهمون الا الواضح المباشر السهل ولا يحبون من التعابير الا جملا مكونة من مبتدأ وخبر تضم في طياتها بديهيات معروفة لدى الجميع .

وهكذا نستطيع ان نوازن بين الطرفين وان نخرجهما خاسرين ، ولكن القضية ليست براعة الفاظ في موازنة او قوة عضلات ثقافية في جدال او مبراة فيها غالب ومغلوب ، المسألة تكمن في النوق الادبي الشخصي وما يتبعه من مزاج وثقافة وفكر وموقف ، وهو يلقي كل المعارك التي قامت وتقوم حول قديم وحديث ، ويقف سدا منيحا ضد علمية النقد وثبوت قواعده ، فليس هناك منحى واحد ساند في عالم الفن ولا يحق لاي كبير ان يفرض رايه الشخصي قاعدة لا نقض لها .

لا يعدو ما فعله الشعراء المحدثون نظم قصائد تنوع القوافي وتلتزم بالوزن دون العدد الثابت من التفعيلات ، بموضوعات جديدة ينسم قسم منها بالاصالة ، والاعمال المتكاملة الرائعة قليلة ، ولم تتطور القصيدة الحديثة ، الا في النادر ، طيلة ربع قرن من الزمن الى مسرحية شعرية حقيقية ذات حدث درامي لا تقطع الشعر الفئائي حوارا ، او الى اجواء شعرية خاصة ، قصصية او غير قصصية ، يظهر فيها الشاعر ، ككل ، بتجربته ، بمعاناته ، بافكاره وانسانيته ، لا ان يقدم لنا وجوده صفحة بعد صفحة قصائد مبعثرة في مجالات وجرائد ، او مجموعة دون رابط في دواوين ، نريد ان يعلم الشاعر نفسه وان يبرزها قائمة بذاتها ، مستقلة ، متمثلة في اعمال ادبية متكاملة ، فهل ننتظر ربع قرن آخر لنتم التجاوز ؟ وما اسباب هذا الركود في امر من مقوماته التجدد والتطور ؟

اظن ان الانبهار بهذا الشعر الحديث ما زال سائدا ، وان قسما

كبيرا مما كتب عنه قد شوه قضيته ! ودون ان نحل التامل مكان الانشده والتطلع محل القناعة ، ستبقى القضية سائبة ، وتظل اعيننا مشدودة الى الاعمال الادبية العالمة الكاملة دون ان نسهم فيها لان محاولتنا تجزئ هذا الاسهام في قصائد عديدة نود ان يبلورها صاحبها ، الشاعر المحدث ، اعمالا ادبية متماسكة تمثله ككل فردا في جيبيل وشاعرا في امة وخالدا في العالمين . ولنا نريد من الشعراء ان يكفوا عن نظم القصائد المفردة ، ولكنها دعوة الى تطوير بعض تلك القصائد الى عوالم شعرية متكاملة تتخذ لها اشكالا متجددة . وسبق لي ان عرضت هذا الرأي مفصلا بمقال في « الآداب » ( ١ - ٦٨ ) ، وقلت : « أدت القصيدة الواحدة دورها بنجاح واستقرت اكثر مما يقتضيه ذلك الدور ... وهي ما زالت البذرة الاولى للعمل المتكامل السامق الذي يظلل الناس جميعا تحت افيائه ، وستبقى المتفس الاول لشاعرنا المتورد - المقيد الذي لا يستطيع ان يعبر عن مشاعره بطريقة مباشرة ... واصبح للقصيدة الحديثة مناخ فريد ، ونات كثيرا وحلقت وصعدت وتبدو نهايتها غامضة اذا لم تعد وتنبسط بتوقيت حاذق وتتخذ لها اشكالا من العمل المتكامل » .

ولعل الحديث عن الشكل قد استنفذ اكثر طاقات الكتاب ، وبقي المضمون امرا اهم بكثير من نظام شطري او غير شطري او من تفعيلات ثابتة او متغيرة ومن قافية او قواف متعددة ، فاروع ما فعله الشعراء المحدثون هو تحول الاغراض التقليدية الى الافكار والموضوعات المطلقة التي يتناولها الشاعر في قصائده ، وبمكننا ان نقسم ديوان الرصافي او شوقي الى وصف وثناء وغزل ... الخ ، ولكننا لا نستطيع ان نفعل الشيء ذاته في دواوين البياتي والسياب مثلا ، فالموضوع الشعري اصبح اوسع واشمل تبعا لمتطلبات العصر ، واعمق وادل على اغوار النفس البشرية وتمردا وثوريتها ، ولم يعد الشعر ، كل الشعر ، غنائيا - وجدانيا ، واصبح خضوع الشاعر للاغراض المعروفة مرفوضا ، وتفسيره بالمدارس الادبية التقليدية خرافة ، فالشعر الحديث كلاسيكي ورومانسي معا ، وواقعي ورمزي ايضا ، فحصر الشعر بالافراض والمدارس الادبية امر يخالف طبيعة الشعر ، لانه يعبر عن الذات البشرية التي تضيق بالتحديد . والتفسير في المضمون الحديث وابتعاده عن الوضوح الساذج طرا لعوامل منها : ثراء التجربة الإنسانية عند الشاعر وشارك القارئ في تمثل تلك التجربة وفهم الجو الشعري وما توحيه الكلمات من ظلال ، الا ان هذا الاجتهاد لا يبرر افتعال الفموض عند بعض الشعراء تطلعا الى ابداع متوهم ، او النظم في موضوعات غير مستمدة من واقع الشاعر الحقيقي ، فالصدق الادبي والاصالة والاخلاص للكلمة سمات الفنان الذي تنهض موضوعاته من واقع حي او يتبعثها تصور فذ لحياء واقع امثل .

في سنة ١٩٤٧ وفي الاعوام القليلة التي تلتها بذلت نازك الملائكة جهدا رائعا في التشبيه الى الاسلوب الجديد ، وكانت مع السياب ، تتقدمهم كل المحاولات القديمة والحديثة ، ركيزة الثورة الشعرية على القوالب التقليدية ، مع الالتزام بالاصول العروضية التي وضعت قواعدها الخليل بن احمد ، ولكنها بمرور الايام ، ولاسباب قد تبسو مقعدة ، منها اصرار على ريادة وتوجيه دائمين ، كما يرى بعض الكتاب ، تكثرت للاساليب الجديدة ، واهتمت بالشكل اهتماما بالغا ، ولم تدعم الشعراء المحدثين ، وكادت تجردهم من نبيل القصد وشرف المحاولة ، وعادت الشاعرة الى الاساليب القديمة وانحسرت عن التيارات المعاصرة ، الا ان دورها الاول لا يجعده الباحثون والدارسون .

وبدا السياب رائدا واستاذا وكاننا خرافيا ، جمع ما استطاع ان يحصل عليه من قديم وحديث ومن اسطورة وواقع ومزج ذلك كله

الشاعر لم يحاول ان يستغل قدرته الهائلة في اداء مسرحي او فني عمل شعري آخر يمثل كيانا وجوا واحدا لا يجزىء ، او انه غير مقتنع بهذا الاتجاه ، ويبقى البياني شاعرا كبيرا واحد القلائل الذين جعلوا القارئ يثق بمستقبل الاشكال الشعرية الجديدة واستمراريتها .

وهناك صوت عراقي آخر ، يمثله سعدي يوسف ، كان وما يزال يعد بشاعرية فذة ، ويبدو ان الظروف فرضت انقطاعه عن الشعر احيانا ، ولا شك ان القصيدة - المسرحية التي مال الشاعر اليها كتابتها مؤخرا قد تؤدي به الى اعمال شعرية متميزة ، ان تمثلت فيها اصالة شعره الحقيقية ، وهو من الذين مزجوا الرومانسية بالواقع والوعي بالحلم وخرجوا عن طوق شوقي - علي محمود هه ، وتهويمات شعر المهاجر وتاملاته السائبة .

وليس من شأن هذه المقالة ان تقدم تفصيلات اكثر او ان تستمر في ذكر الشعراء الذين اسهموا في النهضة الشعرية واحدا بعد واحد ، في العراق وغير العراق ، فمقالات كثيرة كتبت وتكتب عنهم ، والحديث عن الشعراء الذين جاءوا بعد السياب ورهطه قد يستكمل مقوماته في مقالة ثانية ، واعتقد ان الشعر العربي ، بالرغم من كل المناقشات والعارك الجانبية ، سائر الى التطور والنماء والاعمال المتكاملة بشكل يدعو الى التفاؤل والثقة .

جلال الخياط

بغداد - كلية الاداب

في فصائد انتزعت الركود من عالم الشعر الذي كان مشدودا الى النماذج الخطابية ، ونبعت القراء الى آفاق جديدة وبهرتهم بجمل كلاسكية هادئة تلبست بالحدأة احيانا ، ولكن بعض مطولاته كالومس العمياء وحفار القبور اقتربت من الاعمال المتكاملة بمسحة درامية ، لو اتيح للشاعر تطويرها لاستطاع ان يقدم لنا آثارا يمكن ان نرحم بها التدفق الادبي العالمي ، الا ان ظروفه الشخصية والاحداث والامراض التي توالى عليه منعت من ذلك وجملته ينصرف الى مقطوعات شعرية تفصح عن شكواه وضعفه ومرارة ايامه وقسوة الالام الجسدية التي ارهفته . كان ثرا انقطاعه عن الشعر حتى آخر ايامه ، وسيبقى شعره ظاهرة وعلامة ودليلا ، ومقروءا في ترجمات عديدة ، يثير الإعجاب ويخطو بالشعر العربي خطوات واسعة نحو العالمية .

ويطلع علينا عبد الوهاب البياتي بجملته شعرية جديدة وغير معهودة تفصح عن اصالة هذا الشاعر ، ورؤياه الواضحة ودأبه المستمر ، ويسوح البياتي ، بنفسه ، في بقاع متعددة من هذا العالم غريبا او عاشقا للاغتراب ، ويفكره ، متمثلا او باحثا عن موضوعات لقصائده ، وبمرور السنين يتطور شعره من التزام او ما يشبهه الالتزام الى مستوى انساني يكون الالتزام القديم جزءا من مداره ، فهو لا يتنكر تماما لتطلعاته الاولى ، وبالرغم من « محاكمة في نيسابور » وبعض القصائد التي تتخذ لها دورات شعرية مطولة مثل قصائد : حب لمستنار ، وعذاب الحلاج ، ومحنة ابي العلاء وغيرها ، الا ان

## دار الآداب تقدم

# الثقافة والثورة

## مقالات في النقد

بقلم  
محمود أمين العالم

« طوال العشرين سنة الماضية ، احتدم في الوطن العربي كله صراع حول نظرية في النقد الادبي او النقد الثقافي بوجه عام ، كان مداره طبيعة العلاقة بين الثقافة - من ادب وفن وفكر - وبين متطلبات الثورة التحريرية والاجتماعية والقومية . على انه - في الحقيقة - كان تعبيرا عن صراع اعظم ، هو الصراع الطبقي في مجتمعاتنا العربية كلها . . .

... ولعل هذا ما دعاني الى التفكير في تجميع طائفة متنوعة من المقالات شاركت بها في هذا الصراع تحديدا للملامح تلك النظرية النقدية التي ليست هي - ببساطة - الادعوة الى تنمية الثقافة الثورية العربية باعتبارها امتدادا وتطويرا لاشرف ما في تراثنا القومي العريق والى التعجيل بثورة ثقافية جذرية ، تعمق ثورة التحرير والاشتراكية والوحدة القومية ، وتعيد بناء الانسان العربي بناء حضاريا جديدا ، غير منقطع عن اشرف ما في تراثه القديم ، غير معزول عن حقائق مجتمعه وعصره . انها دعوة الى توظيف الثقافة توظيفا ثوريا في حياتنا ، دعوة الى التخطيط الثقافي بما لا يتناقض مع جمالية الابداع وذاتية الخلق وحرية التعبير . . .

من مقدمة المؤلف

الثن ٥٠٠ ق.ل

صدر حديثا